14 أكتوبر
Email:14october@14october.com
الجمعة والسبت 20 - 21 يونيو 2014م
العدد 16099
www.14october.com

تضارب الأنباء بشأن السيطرة على مصفاة بيجي النفطية

أميركا تتهم بغداد بالطائفية وتتأنى في توجيه ضربة

واشنطن/متابعات:

انتقد رئيس هيئة الأركان الأميركية مارتن ديمبسي ما أسماه «طائفية القادة العراقيين» التي أسهمت في تقدم من وصفهم بـ«الجهاديين» في العراق. من جهته، قال وزير الخارجية الأميركية جون كيري إن بلاده تسعى لمساعدة كل العراقيين.

واتهم ديمبسي حكومة بغداد بإهمال شعبها، مما تسبب في المشكلة الحالية التي تشهدها البلاد. وقال إن الولايات المتحدة ليست في عجلة لشنّ ضربات جوية في العراق قبل التحقق من الأوضاع الميدانية على الأرض.

وأضاف أن حكومة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي تجاهلت التحذيرات الأميركية بشأن مخاطر إثارة عداء الطوائف الأخرى.

أما المسؤول السابق عن القوات الأميركية في العراق، فقال إن بلاده التي سحبت قواتها من هذا البلد نهاية 2011 بعد احتلال استمر ثماني سنوات، يجب ألا تصبح «قوة جوية للمليشيات الشيعية».

وكان الجنرال ديفيد بترايوس يتحدث في الوقت الذي طلبت فيه الحكومة العراقية رسميا من واشنطن شن ضربات جوية على المسلحين الذين سيطروا منذ التاسع من يونيو/حزيران على عدة مناطق في شمال العراق ويتقدمون باتجاه بغداد.

وقال بترايوس خلال مؤتمر صحفي في لندن أمس «إذا كان علينا دعم العراق فيجب تقديم هذا الدعم لحكومة تمثل شعبا يضم كافة أطياف البلاد».

وأضاف أنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تكون قوة جوية «لحساب المليشيات الشيعية في معركة ضد العرب السنة».

وأوضح أنه إذا أرادت أميركا مساعدة العراق فهذه المساعدة يجب أن تكون للحكومة ضد «التطرف» بدلا من دعم طرف في ما قد يكون «حربا طائفية».

وكان وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري أكد أن حكومة بلاده طلبت من واشنطن توجيه ضربات جوية للمسلحين داخل العراق.

وأوضح زيباري في مؤتمر صحفي على هامش مؤتمر منظمة التعاون الإسلامي بجدة أن العراق طلب رسميا المساعدة الأميركية طبقا للاتفاقية الأمنية بين البلدين.

من جانبه، أعلن وزير الخارجية الأميركي جون كيري أن بلاده تسعى لمساعدة كل العراقيين إزاء مواجهتهم تهديد المسلحين الذي اجتاحوا مناطق بشمال ووسط العراق مؤخرا وليس فقط رئيس الوزراء نوري المالكي. جاء ذلك في مقابلة مع شبكة «إن بي سي» الأميركية أمس.

وأضاف أن أميركا قلقة جدا إزاء تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، معتبرا أنه أكثر تطرفا من تنظيم القاعدة، وأنه يهدد مصالح أميركا والغرب بشكل عام.

وردا على سؤال عن احتمال حصول «تعاون ثنائي» مع إيران بشأن الأزمة العراقية، استبعد كيري ذلك. وقال «نحن لا نفكر في ذلك، هذا ليس مطروحا على البحث».

أما الرئيس الأميركي باراك أوباما الذي التقى مسؤولين في الكونغرس أمس الأول ، ليواصل اليوم مشاوراته بشأن العراق، مؤكدا أن كل الخيارات مطروحة باستثناء إرسال قوات على الأرض.

في غضون ذلك لا تزال الأنباء متضاربة بشأن السيطرة على مصفاة بيجي النفطية شمالي العراق، في حين قال الجيش العراقي إنه استعاد المبادرة وحقق تقدما ضد المسلحين المعارضين في عدة مناطق من البلاد بينها قضاء تلعفر، وهو ما نفاه المسلحون.

وقال المتحدث باسم القائد العام للقوات المسلحة العراقية قاسم عطا -بمؤتمر صحفي صباح امس في العاصمة بغداد- إن مصفاة بيجي أصبحت تحت سيطرة القوات الحكومية بشكل كامل.

وبدورها نقلت وكالة أسوشيتد برس صباح امس عن شهود قولهم إن المسلحين سيطروا على المنشأة-التي تبعد بنحو مائتي كليومتر شمال العاصمة بغداد- ورفعوا راياتهم فوق بناياتها.

وفي وقت سابق نقلت وكالة رويترز للأنباء عن شهود عيان قولهم إن المصفاة -التي تشهد قتالا منذ صباح أمس بين القوات الحكومية ومسلحين معارضين- تم إخلاؤها ممن تبقى من العاملين فيها صباح امس.

وقال الشهود إنه تم صباح أمس إجلاء 250 إلى ثلاثمائة من العمال المتبقين في المصفاة التي تقع في محافظة صلاح الدين. وأضاف أحد العمال الذين تم إجلاؤهم أن آخر العمال المحاصرين بداخل المصفاة خرجوا منها بعد هدنة قصيرة توقف فيها القتال لساعات.

وأكد العامل -الذي تحدثت إليه رويترز عبر الهاتف- أنه تم اصطحاب العمال إلى خارج المصفاة وفقا لاتفاق أبرم بوساطة شيوخ عشائر محليين لتقلهم حافلات.

ولم تذكر الوكالة ما إذا كانت القوات الحكومية العراقية هي التي أجلت العمال من المصفاة، أم المسلحون الذي تحدثت أنباء في وقت سابق أمس عن سيطرتهم على المصفاة.

وكان في المصفاة 15 ألفا وثمانمائة عامل ومائة خبير أجنبي، معظمهم غادروا الثلاثاء حين أغلقت الحكومة المصفاة تحسبا للهجوم.

وتعد مصفاة بيجي من أكبر مصافي تكرير النفط في العراق، وهي المزود الرئيسي للمشتقات النفطية في البلاد فضلا عن تزويد محطات الكهرباء الرئيسية بالوقود.

وتدور المواجهات في العراق منذ أيام بين مسلحين من أبناء العشائر ومعهم عناصر من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، في مواجهة القوات الحكومية المدعومة من مليشيات ومتطوعين.

ومن جهة أخرى قال قاسم عطا إن القوات الحكومية «حققت تقدما» في عدة مناطق شمالي وغربي البلاد. وأضاف أنه «تم تطهير» جزء كبير من قضاء العظيم شمال بغداد و«إحباط» عدة هجمات للمسلحين في محافظة صلاح الدين، وأن القوات الحكومية تمكنت من تحقيق ما وصفها بـ«الأهداف المهمة» داخل تلعفر.

وقال المتحدث نفسه إن القوات الجوية شنت عدة غارات لضرب أماكن المسلحين، الذين نفوا ما تقوله الحكومة وأكدوا أنهم يسيطرون على قضاء تلعفر بالكامل.

وفي محافظة كركوك قالت مصادر أمنية إن أربعة من عناصر البشمركة قتلوا وأصيب أكثر من عشرة في اشتباك مع مسلحي تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ليلة أمس.

ووقعت الحادثة عندما سلكت دورية للبشمركة طريقا بالخطأ جنوب كركوك ما جعلهم في مواجهة مسلحي التنظيم.

من جانب آخر، بثت على شبكة الإنترنت صور لاقتحام مسلحين ثكنة عسكرية في سامراء. وأضافت مصادر محلية أن هذا المقر يقع في حي الفراز شرقي سامراء، وأن المسلحين تمكنوا من تدمير جميع الآليات الموجودة بداخله والاستيلاء على بعض الأسلحة الخفيفة بعد هروب عناصر القوات الحكومية.

وفي وقت سابق أمس الأول الأربعاء توعد رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي المسلحين الذين يسيطرون على مناطق واسعة في الشمال بالقضاء عليهم، قائلا إن الجيش انتقل إلى الوضع الهجومي.

وشدد المالكي على أن قواته واجهت ما سماها نكبة ولم تهزم، في إشارة إلى انسحاب القوات الحكومية من عدة مواقع في شمالي البلاد واستسلامها للمسلحين.

وأضاف -في خطاب نقلته قناة «العراقية» الحكومية- «تمكنا من امتصاص هذه الضربة وإيقاف حالة التدهور، وبدأت عملية رد الفعل وأخذ زمام المبادرة وتوجيه ضربات».

لنعترف وبألم وعلى رؤوس الأشهاد:

العراق انتهى إلى التقسيم!

› صالح القلاب

ما لم تستجد معجزة، في زمن لا معجزات فيه، فإن ما يدعو إلى الأسى والحزن هو أنّ تقسيم العراق يبدو أنه بات إنْ ليس مؤكدًا فأكثر من محتمل: فبلاد الرافدين باتت عمليًا وواقعيًا ثلاثة أجزاء، جزءٌ السيطرة فيه للسنة العرب، الغرب والشمال الغربي، وجزءٌ السيطرة فيه ليس منذ الآن وإنما منذ عام 2003، وهو الجزء الجنوبي من العاصمة بغداد وحتى البصرة، للشيعة وميليشياتهم المتعددة التي معظمها تدار من قبل فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، أما الجزء الثالث فهو إقليم كردستان الذي أصبح في حقيقة الأمر منذ بدايات تسعينات القرن الماضي إنْ ليس دولة مستقلة فشبه دولة مستقلة.

إنّ هذه نهاية توجع القلب لصراع بقي مستمرًا ومتواصلًا واتخذ أشكالًا متعددة منذ عام 2003 وخاصة في فترتي حكم رئيس الوزراء نوري المالكي الذي ثبت أن لديه نزعة استبدادية، وصدّامية، لا حدود لها، وأنه على مدى الأعوام الماضية أثبت أنه المذهبي والطائفي الأول في العراق، وأن تمسكه بالسلطة بأي ثمن جعله تابعًا صغيرًا ليس للولي الفقيه علي خامنئي فقط، وإنما أيضًا لجنرال فيلق القدس قاسم سليماني.

ولعل ما عزز خطوة هذا التقسيم الطائفي الخطير في العراق أنه جاء امتدادا للصراع الذي احتدم في سوريا منذ عام 2011 والذي حولته إيران وحوله بشار الأسد وأيضًا المالكي إلى أقذر الصراعات التي عرفها العالم على مدى حقب التاريخ، وهو الصراع الطائفي المستند إلى الغرائز البدائية، والذي كثيرًا ما يستهدف أناسًا أبرياء وأطفالًا ونساءً لا يعرفون عن هذا الأمر شيئا ولا علاقة لهم به.

كان المفترض أن يبقى الصراع في سوريا صراعًا سياسيا بين نظام عائلي مستبد حكم البلد بالحديد والنار وبالمعتقلات والمذابح الجماعية، وشعب لم يعد لديه القدرة على المزيد من الاحتمال، وكان لا بد من أن يتأثر بـ«تسونامي» ما يسمى الربيع العربي وينفض عن نفسه غبار الخنوع ويقدم كل هذه التضحيات التي قدمها لاستعادة كرامته ومسيرته الديمقراطية التي اغتالتها الانقلابات العسكرية، وأولها كما هو معروف انقلاب حسني الزعيم، الذي جرى بتخطيط ورعاية أميركيين، والذي ما لبث أن أنجب انقلابا جديدًا بعد شهور قليلة، هو انقلاب سامي الحناوي الذي من المفترض أنه شهيرٌ ومعروف والذي تبعته انقلابات عسكرية كثيرة متلاحقة آخرها انقلاب حافظ الأسد على «رفاقه» في عام 1970.

لكن إيران ما لبثت أن دخلت على خط هذا الصراع، الذي كان هدفه من جانب نظام بشار الأسد الاحتفاظ بحكم العائلة وضمان استمرار سيطرة الطائفة العلوية، وحولته إلى صراع بين الشيعة والسنة، وإلا فما معنى أن يُصدّر نوري المالكي، بتوجيه من مرشد الثورة وبتعليمات من جنرال فيلق القدس قاسم سليماني، أكثر من اثني عشر تنظيمًا مذهبيًا إلى سوريا بحجة حماية مقام السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب وقبر حجر بن عدي؟ وما معنى أن تبادر طهران إلى إرسال فرق من الحرس الثوري قدّرت أعدادها بعشرات الألوف للإمعان في ذبح الشعب السوري والسنة على وجه التحديد. ثم ما معنى أيضًا أن تصبح «المستوطنة» الإيرانية في ضاحية بيروت الجنوبية مُصدّرًا لكل هذه المجموعات من المقاتلين الذين كان وعد حسن نصر الله بأنهم سيحققون النصر على أعدائهم خلال أسابيع قليلة؟!

الآن هناك على الأراضي السورية، بالإضافة إلى ميليشيات «حزب الله» وأكثر من اثني عشر تنظيمًا مذهبيًا، وحدات مقاتلة من الحرس الثوري الإيراني وهناك مقاتلون طائفيون ومذهبيون جرى استيرادهم من أفغانستان ومن باكستان، وحقيقة أن كل هذا عزز مخاوف سنة العراق العرب الذين عانوا من استبداد طائفي ومذهبي غير مسبوق خلال حكم المالكي وقبل ذلك خلال سنوات ما بعد إسقاط نظام صدام حسين الذي اعتبره «المنتصرون» زورًا وبهتانًا نظام أهل السنة، وهذا في حقيقة الأمر ليس له أي أساس من الصحة؛ فطائفة الرئيس العراقي الأسبق الوحيدة هي حزب البعث، وهي أتباعه وأعوانه من بين كل الطوائف العراقية، ومن بينها بل في مقدمتها الطائفة الشيعية.

وهكذا فإن أساس كل ما يجري الآن والذي أوصل العراق إلى هذا التقسيم الفعلي المرعب هو أنّ بول بريمر ومعه المجموعات الوافدة التي هبطت على بلاد الرافدين بـ«الباراشوتات» الأميركية قسموا العراقيين إلى منتصرين ومهزومين، وبالطبع فإن «المهزومين» هم السنة العرب الذين اعتبروا أنهم صدّام وأن صدام هُمْ، والذين مورس ضدهم وعلى مدى أكثر من عقد اضطهاد لا مثيل له، وتم إقصاؤهم واستباحة حقوقهم السياسية والمدنية.

لقد كانت ذروة المؤامرة على العراق ومستقبله أن بريمر ومن تحلقوا معه حول كعكة الحكم الجديدة، التي تقاسموها على أساس إعطاء الفتات للسنة العرب، أصروا على اقتلاع الدولة العراقية من جذورها والإطاحة بكيانها الذي بني على مدى أكثر من ثمانين عامًا، كما أصروا على حلّ الجيش العراقي وتشريد ضباطه وجنوده من لون معين وإلقائهم إمّا في الشوارع يعيشون البطالة ويعانون المسغبة هم وأطفالهم، وإمّا في المعتقلات وتشريدهم في كل بقاع الأرض.

ولهذا وعندما يستمر تهميش هذه الفئة من أبناء الشعب العراقي، والمقصود هم السنة العرب، وتستمر استباحة مناطقها من قبل جيش المالكي، الذي هو جيش ميليشيات حزبية، فهل من المستغرب أن يتحول أبناؤها إلى قنابل متفجرة وأن ينتفضوا على هذا النحو الذي لم يكن مفاجئًا من أجل كرامتهم واستعادة حقوقهم وأن يلجؤوا إلى السلاح بعدما لم يستمع لا وكلاء الولي الفقيه ولا الأميركيون إلى شكاواهم وأنينهم وتوجعاتهم وتظلماتهم وجرى الإمعان في إقصائهم وإهانتهم؟!

وهنا فإن الأسوأ من كل هذا هو أن الإيرانيين والأميركيين، ومعهم بالطبع مخابرات نظام الأسد وبعض الإعلام العربي والغربي، بادروا إلى تضخيم دور «داعش» أكثر كثيرًا مما هو واقع الحال، والهدف بالطبع هو فعل ما فعله المالكي في الأنبار والفلوجة الذي استهدف العرب السنة بحجة أنهم هذه الـ«داعش» وأنهم إرهابيون، وهذا ما تقوله الولايات المتحدة الآن عن الانتفاضة الأخيرة، وما يقوله «العجم» وكل الذين يضعون أكفهم فوق عيونهم حتى لا يروا الحقائق.. والمعروف أن هؤلاء جميعهم هم من أوصل العراق إلى كل هذا التمزق وأوصلوه إلى التقسيم وبروز هذه الكيانات التي قد تتحول وقريبًا إلى دول متناحرة ومتقاتلة، وربما إلى مئات الأعوام، إذا لم ينتصر الحق على الباطل، وإذا لم يشمل الله، جلّت قدرته، بعطفه هذا الشعب العظيم الذي غدا مغلوبًا على أمره.

وهنا فإن المشكلة أنه حتى لو تم استسلام كل المكونات العراقية، المذهبية والطائفية والقومية والإثنية، لهذا الواقع المؤلم وقبلت بهذا «التقسيم»، الذي يبدو أنه أصبح فعليًا والذي يعتبر جريمة الجرائم، فإن الاستنزاف سوف يستمر وإن الاقتتال سيتواصل، فهناك بؤر توتر واحتكاكات كثيرة، من بينها من ستكون له السيطرة على العاصمة بغداد، ومن بينها كركوك وديالى، ومن بينها أيضًا النفط ودجلة والفرات، وقبل هذا فإن المؤكد أن هناك قوى إقليمية ودولية تواصل الإصرار على استنزاف هذه المنطقة وتحويلها إلى دويلات متناحرة قد يلجأ بعضها إلى التحالف مع الدولة الإسرائيلية!

وهكذا وفي النهاية فإنه لا بد من الإشارة إلى أن هجمات المناطق الأخيرة، التي شنها جيش الأسد ومعه ميليشيات «حزب الله» والمجموعات الطائفية المستوردة من العراق وباكستان وأفغانستان، على المعارضة السورية في حمص وجوارها، وفي القلمون على الحدود اللبنانية، وأخيرًا في كسب، تؤكد أن ما جرى في العراق قد يجري وقريبًا في سوريا، وهنا فإن الخوف كل الخوف هو أنْ ينتقل هذا التمزق إلى دول عربية أخرى، وبخاصة إذا لم يستيقظ العرب من غفوتهم ويتذكروا ذلك المثل القائل: «أكلت يوم أكل الثور الأبيض»!

تحذير من غرق بغداد في العنف الطائفي

أولت صحف بريطانية اهتماما واسعا بالأزمة العراقية، وحذر بعضها من غرق بغداد في العنف الطائفي في ظل وقوف المسلحين على أعتاب بغداد، ودعت واشنطن وطهران لحل الأزمة قبل انتشارها.

فقد نشرت صحيفة ذي إندبندنت مقالا لـ كوكبيرن حذر فيه من غرق بغداد في العنف الطائفي، في ظل وقوف تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام على أعتاب العاصمة العراقية، مضيفا أن الجانبين المتصارعين يقترفون مجازر جماعية بحق بعضهما.

وأشار الكاتب إلى أن سقوط الموصل ومناطق أخرى بأيدي تنظيم «الدولة» يترك تداعيات سلبية على أطراف الصراع الأخرى، وأن الحكومة لا تعترف بهزائمها أو أنها تقلل منها، مضيفا أنه لا يتوقع لحكومة نوري المالكي أن تسقط لأن معظم «الشيعة» يحتشدون وراءه بالأزمة الراهنة، ولأن معظم العراقيين تعرضوا طويلا للهيمنة «السُنية» وفق الكاتب.

كما نشرت الصحيفة مقالا للكاتبة إرين ماري سلوتمان قالت فيه إن تنظيم «الدولة» يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي ليعيث فسادا في العراق وسوريا، داعية إلى اتخاذ إجراء لوقف ذلك التنظيم عن هذا الفعل.

وفي سياق الأزمة العراقية أيضا، قالت صحيفة ذي غارديان بافتتاحيتها إن لدى الولايات المتحدة وإيران مصالح مشتركة بالعراق، ويمكنهما العمل معا على تدارك الأزمة المتفجرة بهذا البلد قبل انتشارها إلى نطاق أوسع.

وقالت الصحيفة إنه لا أحد يتوقع أن تتعاون طهران وواشنطن لحل أزمة عالمية، لكن الاهتمام المشترك بينهما يعود لتهديد تنظيم «الدولة» للعراق.

كما دعت إيران والولايات المتحدة للاتفاق على ما يجب القيام به حيال المالكي، الذي وصفته بأنه من أسوأ رؤساء الوزراء العراقيين، مضيفة أنه «لا العراق يحب المالكي ولا المالكي يحب العراق» إلا أن طهران ساندته مؤخرا على التمسك بمنصبه.

من جانبها، نشرت صحيفة ذي ديلي تلغراف مقالا للكاتب كون كوغلين قال فيه إن الأزمة بالعراق كشفت ما سماه «عدم أهمية» السياسة الخارجية لبلاده.

جرائم

وأوضح الكاتب أن «المتمردين الإسلاميين» يواصلون هجومهم العنيف بالعراق مقترفين أبشع أصناف الجرائم بشكل عشوائي، مضيفا أن البريطانيين لا يحركون ساكنا للرد على هذا الهجوم ومواجهته أو لتقديم أي مساعدة للمساعدة على مواجهة «الإرهاب» أو تقديم مساعدات إنسانية.

وأضاف أن الأزمة الدموية المتفجرة بالعراق في الوقت الراهن ليست نتيجة للغزو والإطاحة بالرئيس الراحل صدام حسين، ولكنها بسبب قرار إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما غير المدروس المتمثل في الانسحاب من العراق.

يُشار إلى أن الرئيس الإيراني حسن روحاني أكد أن بلاده لن تدخر جهدا لحماية الأماكن الدينية لدى الشيعة بالعراق إزاء التهديدات التي تتعرض لها من جانب من سماهم «الإرهابيين».

كما أكد مسؤولون بأجهزة الأمن العراقية أن قائد قوة القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني اللواء قاسم سليماني يساعد القوات المسلحة والمليشيات بالعراق، في إطار استعداداتهما لمحاربة المسلحين الذين يتقدمون في أنحاء عديدة من البلاد.